المحاضرة السابعة عشر:

أفكار الرازي وآراؤه

من الصعب ان نحدد آراء الرازي كما هي، وأن نبيّن مدى تفكيره الفلسفي، والوقوف على حقيقة أفكاره ونظرياته، ذلك لأن اكثر مؤلفاته وآثاره العلمية بل معظمها مفقود، وليس لدينا من المصادر والوثائق ما يمكننا من القيام بمثل هذه المهمة الشاقة على وجه التفصيل والتحديد.

نعم هناك آراء له مجملة، تكشف عنها عناوين مؤلفاته التي احصاها القفطي وابن النديم وابن أبي اصيبعة وغيرهم، ومن تلك الآراء:

١ - كان مقتنعاً بالنظرية القائلة بأمكان تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب وفضة، وكان يغالي في ذلك، حتى كان يقول: «أنا لا اسمي فيلسوفاً إلا من كان قد علم صنعة الكيمياء»، بل يعتقد - أكثر من ذلك - بأن مثل افلاطون وارسطو وجالينوس وغيرهم قد علموا صنعة الكيمياء.

ولعنايته الكبيرة بذلك وضع فيها مؤلفات عديدة، ودافع عنها وعن إمكانها دفاعاً حاراً، ومنها (كتاب الاثبات) يثبت فيه أن صناعة الكيمياء صناعة أقرب إلى الوجود منها إلى الامتناع، وكتاب الرد على أبي يوسف الكندي الذي ادخل الكيمياء في الممتنع.

وكانت فكرته في صحة الكيمياء سبباً لمحنته، ووضع نهايته حين احضره بعض الوزراء وسأله ما حصل له من معرفة الكيمياء، فلما لم يذكر شيئاً، وانكر معرفته خنقة بوتر سراً [١].

٢ - وخالف الرازي ارسطو بقوله: إن الجسم يحوي في ذاته على مبدأ الحركة، ووضع رسالة في هذا الموضوع، اسماها (مقالة في أن للجسم تحريكاً من ذاته، وأن الحركة مبدأ طبيعي).

وفكرة الرازي هذه فكرة جديدة تعارض الفلسفة القديمة الموروثة، وهي تشبه ما ذهب إليه (ليبنز) في القرن السابع عشر كما قال الاستاذ أبو ريده.

« ولو ان رأي الرازي هذا وجد من يؤمن به، ويتم بناءه، لكان نظرية مثمرة في العلم الطبيعي » كما يقوله (دي بور) [٢] .

وهذه الفكرة كانت بداية للنظرية الحديثة في نظام الذرات المادية الشمسي وحركتها الذاتية الدائبة. حول نفسها وحول ذاتها.

ويبدو من كتابه في الحركة وأنها ليست مرئية بل معلومة، انه كان يذهب إلى امتناع رؤية الحركة على عكس ما كان يذهب إليه أبو الهذيل العلاف المتكلم المعتزلي المعروف من تجويز رؤيتها.

والرازي وافق بذلك رأي هشام بن الحكم القائل بامتناع رؤية الحركة، كما يظهر ذلك من مناظرته مع أبي الهذيل [٣] .

٣ - وينسب إلى الرازي مذهب فيما وراء الطبيعة لا يتفق بظاهره مع العقيدة الاسلامية، وهو قول يعتمد على النظريات القديمة المنسوبة إلى (انكساجوراس) و (انباذوقليس) و (ماني) وغيرهم، ويقوم على أن مصدر الوجود والخلق خمسة أشياء، هي: الباري تعالى. النفس الكلية. الهيولى. المكان المطلق. الزمان المطلق. هذه العناصر الخمسة هي لا بد منها لوجود هذا العالم، وينتهي هذا المذهب إلى ان هذه المبادىء الخمسة للوجود قديمة، وليس منها شيء محدث، وهو مذهب يعود في جوهره إلى انكار عقيدة اسلامية اساسية، هي خلق العالم وحدوثه.

وينسب إليه قِدَم الهيولي، وانها كانت موجودة بالفعل قبل ان تتصور بصورة الاجسام، وهو يسميها الهيولي المطلقة، وان الاجسام تتألف من أجزاء من الهيولي لا تتجزأ، ولها مساحة، ومن أجزاء من الخلاء تتوسطها، والخلاء عنده جوهر موجود بالفعل، كما انه يقول بقدم المكان، وانه مكان مطلق او كلي، هو بمثابة وعاء يحتوي الاجسام ولا يرتفع وإن ارتفع ما فيه، ومكان مضاف او جزئي يتعلق بالتمكن فيه، فإذا لم يكن متمكن لم يكن مكان. وكذلك الزمان عنده قديم، وهو الزمان المطلق هو المدة والدهر، وهو قديم متحرك غير لابث، وزمان محصور، هو الذي يعرف من توهم حركات الافلاك [١] .

وما ندري على التحقيق مدى اقتناع الرازي بهذا المذهب، ولكن اسماء كتبه الموضوعة في المكان والزمان والهيولي وغيرها قد تؤيد صحة نسبة هذا المذهب